بلاسنته يأتي بها لكان ذلك من أكبر فضائل الصمت وأدع هذا
كله وأقول كان سبب انشاء هذه الرسالة في الصداقة
والصديق أني ذكرت شيئاً منها لزيد بن رفاعة أبي الخير فنماه
الى ابن سعدان أبي عبد الله سنة احدى وسبعين قبل تحمله
أعباء الدولة وتدبيره أمر الوزارة حين كانت الأشغال
خفيفة والأحوال على أذلالها جارية فقال لي ابن سعدان
قال لي زيد عنك كذا وكذا قلت قد كان ذاك قال فدوّن
هذا الكلام وصله بصلاته مما يصح عندك لمن تقدم فان
حديث الصديق حلو ووصف الصاحب المساعد مطرب
فجمعت ما في هذه الرسالة وشغل عن رد القول فيها وبطات
انا عن تحريرها الى أن كان من أمره ما كان فلما كان هذا الوقت
وهو رجب سنة اربع مائة عثرت على المسودة وبيضتها
على تحملها فان راقتك فذاك الذي عنيت بتعبي وحولي
واستخارتي وان تخلفت عن ذلك فللعذر الذي سحبت
ذيله وارسلت سبله وقبل كل شيء ينبغي ان تثق بانه لا
صديق ولا من يتشبه بالصديق ولذلك قال حمل بن مرة
في الزمان الاول حين كان الدين يعانق بالاخلاص
والمروة تتهادى بين الناس وقد ارتفع البيت ورفض
المجالس واعتزل الخاصة والعامة وعوتب في ذلك فقال
لقد صحبت الناس اربعين سنة فما رأيتهم غفروا لي ذنباً ولا
ستروا لي عيباً ولا حفظوا لي غيباً ولا أقالوني عثرة ولا

رحموا

احدى وسبعين وثلثمائة

تاريخ تأليف هذا الكتاب

رحموا لي عبرة ولا قبلوا مني عذرة ولا فكوني من أسرة
ولا هجروا مني كسرة ولا بذلوا لي نصرة ورأيت الشغل بهم
تضييعاً للحياة وتباعداً من الله عز وجل وتجرعاً للغيظ مع
الساعات وتسليطاً للهوى في الهنات بعد الهنات
ولذلك قال الثوري لرجل قال له أوصني قال أنكر من تعرف
قال زدني قال لا مزيد وكان ابن كعب يقول لا خير في مخالطة
الناس ولا فائدة في القرب منهم والثقة بهم والاعتماد عليهم
ولذلك قال الاول

إخاء الناس ممتزج وأكثر فعلهم سمج
فان تهتك مقطعة فليس لهم بهم فرج
ففوهم بهجرهم فإن لم يهجروا اعوجوا
صروف الدهر دائبة تقطّع بينها المهج

وانشدني أبو اسحق ابراهيم بن هلال الصابي الكاتب في إخوان الزمان
لنفسه

أما رب كل الناس أبناء علة أما تغلط الدنيا لنا بصديق
وجوه بها من مضمر الغل شاهد ذوات أديم في النفاق صفيق
اذا اعترضوا عند اللقاء فإنهم قذى لعيون أو شجى لحلوق
وان أظهروا برد الوداد وظله أسروا مع الشحناء حر حريق
الا ليتني حيث انتويت أو أرح القطا بأقصى محل في البلاد سحيق
أخو وحدة قد آنستني كأنني بها نازل في معشر وفريق
فذاك خير للفتى من ثوائه بمسبعة من صاحب ورفيق

وكان العتبي يقول كتب الصداقة مرفوضة والحفاظ
معدوم والوفاء اسم لا حقيقة له والرعاية موقوفة على

Copyright King Saud University